

موقف النحاة من الاستشهاد بـ (الحديث النبوي الشريف)

إعداد : د. حيدر غضبان محسن الجبوري
كلية الآداب / جامعة بابل
قسم اللغة العربية

- * **تعريف الحديث لغة:** هو الجديد ، وهو الخبر أيضا . ويجمع على أحاديث على خلاف القياس .
- * **تعريف الحديث الشريف اصطلاحا :** ويقصد به ما ينسب إلى النبي (ص وآله) من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي . وقد ذهب بعضهم إلى أن الحديث يشمل كذلك أقوال الصحابة والتابعين ، إلا أن الرأي الأول هو الأشهر .
- * **موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف :**
- للنحاة ثلاثة مذاهب في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف :
- المذهب الأول : مذهب المانعين مطلقا ، ويمثله ابن الضائع يقول : كما روى السيوطي عنه في كتاب الاقتراح . وسبب منع الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف عند هؤلاء ما يأتي :
 - أ- جواز نقل الحديث بالمعنى ، فنجد قصة واحدة قد جرت في زمان النبي (ص وآله) فقال فيها لفظا واحدا فنقل بأنواع من الألفاظ بحيث يجزم الإنسان بأن رسول الله (ص وآله) لم يقل بتلك الألفاظ . نحو ما ورد عنه (ص وآله) : " زوجتكها بما معك من القرآن " و " ملكتكها بما معك " وغير ذلك .
 - ب- إنه وقع اللحن كثيرا فيما روي عن الرسول (ص وآله) لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ولا تعلموا لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن في نقلهم وهم لا يعلمون ذلك .
 - مذهب المجوزين مطلقا ، وعلى رأسهم ابن مالك ت (٦٧٢هـ) ورضي الدين الاسترآبادي ت (٦٨٨هـ) الذي زاد على ابن مالك الاستشهاد بكلام الصحابة وآل البيت عليهم السلام . وتابعه في ذلك ابن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) . وكان من أشد المتحمسين لهذا الرأي ابن الطيب المغربي ت (١١٧٠هـ) وكان أبرز ما بنى عليه دفاعه ما يأتي :
 - أ- إن القول بأن القدماء لم يستدلوا بالحديث النبوي الشريف لا دليل فيه على أنهم يمنعون ذلك ولا يجيزونه .
 - ب- إن القول بأن الأحاديث بأسرها ليس موثوقا بها قول باطل ، لأن المتواتر مجزوم بأنه من كلامه .

ت- أما القول بأن الرواة جَوَّزوا النقل بالمعنى فاحتمل نقل المعاني دون الألفاظ فالخلاف فيه مشهور ، وكما أجازهم قوم منعه آخرون ، بل ذهب إلى المنع كثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين ...

ث- وأما القول بتعدد رواية القصة الواحدة فالرد عليه بأن ورود القصة الواحدة بالعبارات المختلفة صحيح موجود في كثير من الأحاديث فقد كان النبي (ص وآله) يعيد الكلام المرتين وأكثر لقصد البيان وإزالة الإبهام ، وقد ورد عنه(ص وآله) أنه كان من عادته تكرار الكلام ثلاث مرات . وقد وضع البخاري بابا أسماه (باب من أعاد الأحاديث ثلاثا ليفهم منه)

ج- إن صحيح البخاري اشتمل على سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا بالمكرر ، وكانت التراكيب المخالفة لظاهر الإعراب فيه لا تكاد تبلغ الأربعين .

٣. أما المذهب الثالث فهو مذهب المتوسطين : وقد وقف هؤلاء موقفا وسطا بين المانعين مطلقا والمجوزين مطلقا ، وكان المتحدث بلسانهم والمدافع عن رأيهم الشاطبي ت(٧٩٠هـ) الذي قسم الحديث النبوي الشريف على قسمين :

أ. ما يعنى ناقله بمعناه دون لفظه ، وهذا لا يجوز الاستشهاد به .

ب. ما يعتني ناقله بلفظه لمقصود خاص ، كالأحاديث التي قصد بها فصاحته (ص وآله) ، والأمثال النبوية . وهذا القسم يصح الاستشهاد به في النحو .

وبهذا الموقف عارض الشاطبي المانعين للاحتجاج بالحديث النبوي الشريف ورامهم بالتناقض لأنهم لا يستشهدون بحدث الرسول (ص وآله) في حين يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاءهم ، ويتركون الأحاديث الصحيحة .

كما عارض المجيزين مطلقا دون تفرقة ، كابن مالك وابن خروف .

ورأي الشاطبي هذا هو الأساس الذي بنى عليه بعض المعاصرين موقفهم من حجية الحديث النبوي الشريف كالسيد خضر حسين ، والأستاذ سعيد الأفغاني ، والأستاذ طه الراوي ، ود.خديجة الحديثي .

موقف متقدمي النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

وجدت الدكتورة خديجة الحديثي أن أبا عمرو بن العلاء استشهد بثلاثة أحاديث ، بحسب مصادرها.

موقف الخليل من الاستشهاد بالحديث :

إن ريادة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف سجلت للخليل، ودليلنا على ذلك كتابه(العين) ، وما أفرده الدكتور هادي عطية مطر الهلالي من مؤلف خاص بأحاديث الرسول (ص وآله) الواردة عند الخليل ، وحمل هذا المؤلف عنوان (ريادة الاستشهاد بالحديث والأثر عند الخليل بن احمد) .

وقد أفردت الدكتورة خديجة الحديثي لاستشهاد الخليل بالحديث النبوي الشريف عدة صحائف من كتابها موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف .

موقف سيبويه من الاستشهاد بالحديث :

* احتج سيبويه بالأحاديث النبوية الشريفة وذكرها في كتابه.

* فهو أما أن يذكرها مع آية قرآنية تقوية وتعزيزا لما يراه في مسألة من المسائل ، وأما أن يذكرها ليبين نوعا من التعبير يجوز فيه الحمل على أوجه متعددة من الإعراب تبعا للمعاني المختلفة التي يدل عليها بعد أن يستدل على احد الأوجه بقراءة ... وأما أن يذكر الحديث وحده غير معتمد على شبيهه من آية كريمة أو من بيت من الشعر ، إنما يفسره بأمثلة من عنده جارية على كلام العرب....

* الأحاديث النبوية الشريفة التي استشهد بها سيبويه وكانت ستة أحاديث على الأقل .

* عدم تصريح سيبويه بنسبة الأحاديث إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

موقف الكوفيين من الاستشهاد بالحديث :

ترى د. خديجة الحديثي أن هناك أدلة علمية تقطع باعتماد الحديث في النحو الكوفي - ولاسيما في وما وصل إلينا من مؤلفاتهم ومن أبرزها كتاب (معاني القرآن) للفراء ، بل إن الفراء كان يصرح بنسبة الأحاديث إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن ذلك ما جاء في قوله: ((... وكان الكسائي يعيب قولهم (فلتفرحوا)؛ لأنه وجده قليلا فجعله عيبا، وهو الأصل. ولقد سمعت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في بعض المشاهد: (لتأخذوا مصافكم) يريد به : خذوا مصافكم.

والواقع أن تصريح الفراء بنسبة الأحاديث إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعد منهجا انفراديا بين علماء البصرة والكوفة؛ لأن من سبقه من النحويين أو عاصره لم يصرح بهذه النسبة.

.....

وقد وجدت الدكتورة خديجة الحديثي أن من النحاة المتأخرين كابن الضائع ت(٦٨٦هـ) وأبي حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) والشاطبي ت(٧٩٠هـ) والبغدادي ت() في خزنة الأدب يذهبون إلى أن ابن خروف ت(٦٠٩هـ) أو ابن مالك ت(٦٧٢هـ) أو السهيلي ت() أول من احتج بالحديث النبوي الشريف ومع هذا يوردون لأعلام نحوية توفيت قبل تلك الشخصيات المتأخرة استشهاداتهم بالحديث النبوي الشريف . وقد عللت الدكتورة الحديثي ذلك بأنهم كانوا يريدون أن هؤلاء النحاة هم أول من قاموا باستقراء الأحاديث واستخلاص ما جاء فيها من قواعد جديدة أثبتوها أو استدركوا بها على قواعد النحاة الأوائل مما ورد في أسلوب الحديث النبوي الشريف ولم يرد مثله في آيات الكتاب العزيز ولا فيما جمعه النحاة من كلام العرب الفصحاء . أما متقدمو النحاة فكان استشهادهم بالحديث استشهادا عارضا وقد بنوا أصولهم وقواعدهم النحوية على كلام الله عز وجل وكلام العرب الفصحاء .

إعداد

د. حيدر غضبان محسن الجبوري

كلية الآداب / جامعة بابل / قسم اللغة العربية